

الرواق البخاري

جزء في شرح حديث

" كلمتان حبيبتان إلى الرحمن... "

كتبه راجي عفوره



مجمع البحوث الإسلامية
بمكة المكرمة

أكاديمية الرواق للأبحاث والتأصيل العلمي
Al Rowaq Archaeological Academy for Scientific Rooting

الإصدار (١٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ تَقِي

رَبِّ يَسْرٍ وَأَعْنِ يَا كَرِيمُ

الحمد لله الرحيم الرحمن، الكريم المنان، ذي الفضل والمن الإحسان،
أحمده على صنوف نعمه وعطاياه الحسان، ما تعاقب الليل والنهار على مر
الدهور والأزمان.

سبحانه من إله كريم، عطاءه عظيم، وفضله جسيم، وخيره عميم، وهو
السميع البصير، ذكره حياة، وشكره نجاة، وحمده يُبلِّغ رضاه، أثنى على
الذاكرين ووعدهم جنة الفردوس وطيب الحياة، فقال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

وأصلي وأسلم على إمام الذاكرين وقودتهم إلى يوم الدين، حث على الذِّكْرِ
ورغَّب فيه فقال: «أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي
دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا
أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»؟ قالوا: بلى. قال: «ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى» قَالَ مَعَاذُ بَنِي جَبَلٍ:
«مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنَ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٢). وبعد.

وَلَا شَيْءَ أَعْلَا مِنْكَ مَجْدًا وَأَمَّجْدُ
لِعِزَّتِهِ تَعَنُّوا الْوُجُوهَ وَتَسْجُدُ
وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدٌ^(٣)

لَكَ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا
مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مَهِيمٌ
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَقْدِرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ

١. سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

٢. موطأ مالك، ح: (٢٤)، مسند أحمد، ح: (٢١٧٠٢)، سنن الترمذي، ح: (٣٢٧٧)، سنن ابن ماجه، ح: (٢٧٩٠). وقال الألباني: صحيح.

٣. مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز بن محمد السلطان.

«سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ»^(٤)

ذكر الله تعالى من أفضل العبادات والقربات الموصلة إلى رضا الرحمن تبارك وتعالى، وإن فيه لشغلاً للذاكرين، لذا فقد سَبَقُوا إلى القرب منه سبحانه، فنالوا كريم فضله، وعظيم عطائه، ولذة مناجاته، ومنحهم شرف ذكره لهم، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٥). بل ويباهي بهم ويذكرهم في الملأ الأعلى الكرام البررة.

«وَأَنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأِ ذِكْرْتِهِ فِي مَلَأِ خَيْرِ مِنْهُمْ»^(٦)

«ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً»^(٧)

«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٨)

مداومة ذكر الله تعالى مرضاة لله، ورفعاً للدرجات، وحثاً للسيئات، ينجي من عذاب الله وغضبه.

نور في القلب والبصيرة، وطهارة لهما، يورث طمأنينة النفس وراحتها، وشفائها ودواؤها من أسقامها.

يُزِيلُ الشَّقَا وَالْهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ
وَأَنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَسُ يَوْمًا يَشْرُدُ
بَأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرَدُ
عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرَ بِالْحَسَنِ يَعْبُدُ
وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
فَذِكْرُ إِلَهٍ الْعَرْشِ سَرًّا وَمَعْلَنًا
وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَا وَأَجَلًا
فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لَصْحَبِهِ
وَوَصَّى مَعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَهَهُ
وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةِ

٤. صحيح مسلم (٢٦٧٦).

٥. سورة البقرة، آية: ١٥٢.

٦. صحيح البخاري، (٧٤٠٥)، صحيح مسلم (٢٦٧٥).

٧. الوابل الصيب، لابن القيم.

٨. مسند الإمام أحمد، (١٧٦٨٠)، سنن الترمذي، (٢٢٧٥)، سنن ابن ماجه (٢٧٩٢)، وصححه الألباني.

بأن لا يزال رطباً لسانك هذه تعين على كل الأمور وتُسعدُ (٩)

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١٠).

ذكر الله يورث القلوب طمأنينة وسكينة، وفيه سر راحتها، ومفتاح سعادتها، وسبيل نجاتها، وفوزها في دنياها وآخرتها.

ذكر الله رفعة للدرجات، وسبب لجلاء الهموم والغموم وتنزل الرحمات.

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١١).

لا ريب أن عموم ذكر الله تعالى مما ينفع المرء في دنياه وعقباه، ويسعده أن يلاقاه يوم لا ينفع مال ولا بنون، والأحاديث والآيات في ذلك كثيرة، غير أنه قد وردت نصوص مخصوصة بشأن بعض أنواع من الذكر، فمن ذلك ما جاء في فضل التسبيح والتحميد.

فمنها: أنه محبوب إلى الله تعالى، روى ذلك الإمام مسلم في صحيحه من

حديث أبي ذر رضي الله عنه، «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» (١٢).

ومنها: أنه مما يحبه ﷺ ويكثر منه: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ

لِلَّهِ، وَلِنَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» (١٣).

٩. مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، المجلد (٢٦).

١٠. سورة الرعد، آية: ٢٨.

١١. سورة الأنفال، آية: ٤٥.

١٢. صحيح مسلم، ج: (٢٧٢١).

١٣. صحيح مسلم، ج: (٢٦٩٥).

هو من أفضل الأعمال التي يجيء بها المرء يوم القيامة: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةً مَرَّةً لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(١٤).

ولو استطردهنا في فضائل الذكر والتسبيح والتحميد، لطال بنا المقام، لما فيه من فوائد جمّة، ودلائل عظيمة، ومنافع كبيرة، وإني لأرجو الله تعالى أن ييسر إتمام هذا الجزء، في حديث عظيم، من جوامع كلم البشير النذير ﷺ وقد وسمته بـ:

السُّورَةُ النَّجْمِ

جزء في شرح حديث: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن

نسأل الله أن يرزقنا التمام، وإن يوفقنا لما يحب ويرضى.

نسأل الله سبحانه أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.



أخبرنا به فضيلة الشيخ: عبد الوكيل عبد الحق الهاشمي حفظه الله،
 سماعاً من لفظه مع الإجازة، عن والده أبي محمد عبد الحق بن
 عبد الواحد الهاشمي (١٣٩٢)، عن أحمد بن عبد الله بن سالم
 البغدادي، عن عبد الرحمن بن عباس بن عبد الرحمن، عن الإمام
 محمد بن علي الشوكاني، عن عبد القادر بن أحمد الكوكباني، عن
 عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي، عن إبراهيم بن حسن الكردي،
 عن محمد بن العلاء البجلي، عن سالم بن محمد السنهوري، عن
 محمد بن أحمد الغيطي، عن زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا
 الأنصاري، عن الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (شراح
 البخاري)، عن أبي حفص المراغي، والصلاح المقدسي، كلاهما: عن
 الفخر ابن البخاري، عن عمر بن طبرزد البغدادي، عن إبراهيم بن
 محمد الكرخي، عن الخطيب البغدادي، عن كريمة بنت أحمد
 المروزيّة، عن الكشميهني، عن الفربري، عن الإمام البخاري رحمته الله.

قال الإمام البخاري رحمته الله:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِشْكَابَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ
الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:

«كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ
عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ
اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ.» (١٥)

قُلْتُ:

- وبهذا السند يكون بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم: (سبعة وعشرون) رجلا.
- وبينني وبين الإمام البخاري رحمته الله: (واحد وعشرون) رجلا.



روى الحديث إماما المحدثين البخاري ومسلم في صحيحهما، فهو من أعلى درجات الصحة عند أئمة الشأن .

❖ اللفظ المذكور للإمام البخاري رحمته الله، وقد ختم به الصحيح، باب قول الله تعالى: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾** ...، ح: (٧٥٦٣)، ورواه في باب فضل التسبيح، ح: (٦٤٠٦). ورواه أيضا في باب إِذَا قَالَ وَاللَّهِ لَا أَتَكْتُمُ الْيَوْمَ فَصَلِّ أَوْ قَرَأْ أَوْ سَبِّحْ أَوْ كَبِّرْ أَوْ حَمِّدْ أَوْ هُتِّلْ فَهُوَ عَلَيَّ نَبِيَّتَهُ، ح: (٦٦٨٢).

❖ ورواه الإمام مسلم رحمته الله في صحيحه: باب فضل التَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالدُّعَاءِ (٢٦٩٤).

❖ ورواه الإمام أحمد رحمته الله في المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه ح: ٧١٦٧.

❖ ورواه الإمام ابن ماجه رحمته الله في السنن، ح: ٣٨٠٦.

❖ كما رواه الإمام الترمذي رحمته الله في السنن، ح: ٣٤٦٧.



- **كلمتان:** المقصود جملتان، فالكلمة قد تطلق على الجملة، كأن تقول كلمة الشهادة، وكلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص.
- **خفيفتان على اللسان:** أي تجريان على اللسان لسهولة النطق بهما.
- **ثقيلتان:** أي عظيمتان في المثوبة.
- **الميزان:** ويقصد به ميزان الأعمال يوم القيامة، وهو من أصول أهل السنة التي يؤمنون بها.
- **حبيبتان:** بمعنى محبوبتان، لما اشتملا عليه من التسييح والتحميد والتنزيه.
- **الرحمن:** من أسماء الله تعالى، وهو يعي ذو الرحمة الواسعة، وورد هنا ليناسب سياق سعة رحمة الله تعالى.
- **سبحان الله:** التسييح التنزيه، والمقصود تنزيهه سبحانه عن كل عيب ونقص، فهو المتصف بصفات الكمال المطلق.
- **وبحمده:** الحمد هو: وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيمًا.
- **العظيم:** اسم من أسماء الله تعالى الحسنی، أي الذي يعظمه الخلق ويخافونه، وورد هنا ليناسب التنزيه عن كل نقص.



شرح الحديث:

في الحديث بيان فضل الله تعالى على عباده، وسعة رحمته بهم، فبقليل من العمل يمنحهم الكثير من الثواب والأجر، حيث عبر بالخفة لبيان قلة العمل وسهولته، وعبر بالثقل لبيان عظيم العطاء وكثرته.

كما أن فيه إرشاد لفضل التسبيح والتحميد لاشتماله على التعظيم والتنزيه عن كل سوء ونقص، "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ"، وهذه الكلمات مع قلة حروفها وصغر حجمها وسهولة النطق بها وخفة جريانها على اللسان "خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ"، إلا أنها عظيمة عند الله، كبيرة في معناها، تثقل موازين العبد يوم القيامة، "ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ"، يحبها الله ويجب سماعها من عبده "حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ" لما اشتملت عليه من تعظيم ووقار وتنزيه له سبحانه عن كل نقص وعيب، وإثبات الكمال لله جل وعلا، فهي خير ما يقوله العبد، وخير ما يدخر من حسنات.

طريقٌ إلى حبِّ الإلهِ ومُرشدٌ
وعن كلِّ قولٍ للديانةِ مُفسدٌ
بكثرةِ ذكْرِ اللهِ نعمَ الموحِّدِ^(١٦)

ولو لم يكن في ذكره غير أنه
وينهى الفتى عن غيبةٍ ونميمةٍ
لكان لنا حظٌّ عظيمٌ ورغبةٌ



دل الحديث على:

- فضل التسبيح والتحميد.
- كما دل على سعة رحمة الله ﷻ.
- ودل أيضا على عظيم فضله وعطائه ﷻ.
- كما يدل على إثبات صفة المحبة لله ﷻ.
- دل الحديث على إثبات صفات الكمال لله ﷻ.
- إثبات الميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة.
- أن الكلم في الميزان يوزن بعظيم معناه، لا بكثرة حروفه.

بذِكْرِكَ يَا مَوْلى الْوَرَى تَتَنَعَّمُ وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِكَ قَدْ عَمُوا



أن الإمام البخاري رحمه الله ختم صحيحه بهذا الحديث:

☞ كونه اشتمل على ما يحبه الله من الحمد والتسبيح، فأحب أن يختمه بها.
☞ وكونه فيه إشارة إلى أن أعمال العباد وأقوالهم توزن، فهو يرجو أن يكون كتابه في ميزان حسناته.

قال الإمام ابن حجر في الفتح: " وَقَالَ شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ سِرَاجُ الدِّينِ الْبُلْقِينِيُّ فِي كَلَامِهِ عَلَى مُنَاسَبَةِ أَبْوَابِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ الَّذِي نَقَلْتُهُ عَنْهُ فِي أَوَاخِرِ الْمُقَدِّمَةِ لَمَّا كَانَ أَصْلُ الْعِصْمَةِ أَوَّلًا وَآخِرًا هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ فَخَتَمَ بِكِتَابِ التَّوْحِيدِ وَكَانَ آخِرُ الْأُمُورِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا الْمُفْلِحُ مِنَ الْخَاسِرِ ثَقَلَ الْمَوَازِينِ وَخَفَّتْهَا فَجَعَلَهُ آخِرَ تَرَاجِمِ الْكِتَابِ " (١٨)



